بلى، جاسوس هو الشاعر !

(تحية الى محمد عفيفي مطر)

حين يصير الشاعر في أُمة ما "كافرا" و "جاسوساً" قل ان هذه الامة لفي مأزق!

وأية امة نحن ؟ وأي مأزق هو مأزقنا ؟!

اذا كانت هواية الانجليز القومية هي صيد الايائل بأطلاق الكلاب المدربة في اثرها، ثم اطلاق الرصاص عليها، فان هوايتنا القومية، وللاسف الاسيف والاسوف، هي صيد الشعراء باطلاق الكلاب المدربة والمدّبرة في اثرهم، ثم اطلاق السهام والرصاص عليهم .. هكذا كان منذ الشنفرى الى المتنبي. وهكذا يكون من المحيط الى الخليج !

اننا لفي مأزق .. وانه لمأزق مزمن مزمن. فحين تفتح الامم المتحضرة لشعرائها ابواب الابداع في البيوت الريفية المجهزة بأحدث ادوات الكتابة والاتصال والطباعة، فانهم يفتحون لنا، نحن شعراء هذه الامة، ابواب السجون والزنازين المزودة باحدث اجهزة التحقيق والقمع والارهاب ..

وانهم ليجرؤون على الاساءة لاسم الله وانبيائه ورسله واوليائه، فيصمموننا بتهمة الكفر والزندقة نحن الادنى منهم الى وجه الله والاقرب الى سدة عرشه - لا لسبب سوى قصورهم المتخلف عن اللحاق برؤانا الجامحة نحو عدالة الارض - الباب الارحب الى عدالة السماء.

ويبلغ بهم الجبن والجهل والجفاء والجشع والجمود مبلغ اللجوء الى القوة الغاشمة - قوتهم القادرة الغبية الغيبية الغلقاء الغرور الغليظة الغلفاء - لسحق وردة الحلم ولتسميم سنبلة الاتي.

يتهمونا بالكفر؟ بلى. بلى كفرنا بطاغوتهم وجاهليتهم وقبليتهم وتخلفهم وخيانتهم وظلمهم وظلامهم. بلى كفرنا .. ويتهموننا بالجاسوسية؟ بلى. بلى اخوتي الشعراء. بلى اخي محمد. نحن جواسيس الحقيقة في عالم الغش، جواسيس الورد في بلاد الشوك، جواسيس الكرامة والحرية والعقل والنور، في اقبية التعذيب والاغلال والمسدسات والسياط وكواتم الصوت.

ولا بأس ولا يأس. هذه الامة هي أمتنا الوحيدة. وهذا الوطن هو وطننا الوحيد وهذا الافق هو افقنا الوحيد. اما التاريخ فليس وحيدا. هنا تاريخ المسدس وهناك تاريخ القصيدة. وسيكون تاريخ الامة هو تاريخها الوحيد حين يكون هو تاريخنا، تاريخ قصيدتنا، تاريخ حلمنا، وردتنا، سنبلتنا ودمنا.

وهذا ما سيكون .. لانه ارادة الانسان ومشيئة الله .. لان الله محبة والله حرية والله عدل والله نور، فليعمهوا في غيهم، وليوغلوا في دياميسهم ودهاليزهم وكوابيسهم ونواميسهم وقواميسهم ونواريسهم، فلا ماضيهم هو الماضي ولا حاضرهم هو الحاضر ولا مستقبلهم هو

المستقبل.

نحن زهور هذه الامة وهم قبورها. نحن خلودها وهم قيودها. نحن سروزها وهم شرورها. ونحن ضميرها، يقول الله "انتصر" فينتصر. ان الله نصير الشعراء الشعراء. هو حبهم ودربهم. وهو حسبهم .. وهو العزيز القدير.

«الاتحاد» ١٢ نيسان ١٩٩١